الحرب الأهلية الرومانية الثانية (49 – 46 ق،م) و انعكاساتها على نوميديا.

توريرت مصطفى.
جامعة محمد خيضر –بسكرة-

الملخص:

إذا كان البعض يرجع وقوف يوبا الأول مع أنصار بومبيوس في إطار الحرب الأهلية الرومانية الثانية "49- 46 ق.م" إلى أن والده هيمصال كان يدين بعرشه لبومبي الذي أعاد له السلطة بعد انتصاره على ماريوس، فإنه شخصيا كان يكن ضغنا لقيصر وكوريو، فكان يوبا الأول يسعى بذلك إلى استرجاع مقاطعة إفريقيا التي احتلها الرومان إثر سقوط قرطاجة، إذ وعده أنصار سكيبيو بالتخلي له عن مقاطعة إفريقيا كجزاء مساعدته العسكرية، غير أن انهزام يوبا الأول في معركة ثابسوس 46 ق.م مثلت نهاية السيادة النوميدية، وتحققت أهداف قيصر التوسعية، وكأن قيصر يحتفل بالذكرى المئوية لاحتلال قرطاجة سنة 146 ق.م، بضم أراضي جديدة، كانت سابقا أراضي لدول حليفة، فكانت نهاية لمرحلة طويلة من التدخل الروماني في شؤون المملكة، ابتدأت بعد الانتصار في الحرب البونية الثانية وانتهت في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد.

Abstract:

If some believe that Yuba first joined the allies of pompius during the of the second Romanian civil war "49-46 S.m" because his father hiempsal owed his crouwn to Pompeii, who gave him authority back after his victory on the Marius, but he personally had hard feeling to Caesar and Curio. As a result, Yuba first was trying to regain the province of Africa which was colonized by the Romain after the dounfall of the Carthage in 146 B.C, Since the allies of Scipio promised him to give him the province Africa as a rewrad to his military help, but the defeat of Yuba first in the battle of thabsus 46 S.m resulted in the Numidian sovereignty, and the Caesar expansionist obhectives, were achieved. As if Caesar was Celebrates the 100th anniversary of the occupation of the Carthage years 146 S.m, by the annexation of new lands which were previansly lands of allies, soi t was the end of a lang period of Roman intervetion in the affairs of the victory in the Second Punicwar and ended in the second half of the first century B.C.

كانت منطقة بلاد المغرب القديم من أبرز المناطق التي تعرضت لنماذج متنوعة من سياسة الرومان الممهدة للاحتلال، فالتحالف كان يمثل أولى خطوات الرومان في فرض سيطرتهم على البلدان، هذا ما أدى بنجاح مجلس الشيوخ في استغلال الملوك المغاربة منذ عهد مبكر، فكانت التحالفات أقوى سند للدبلوماسية الرومانية في القضاء على القرطاجيين، كما يعتبر هذا التحالف من أقوى العوامل التي سهلت على الرومان تهيئة الجو المغاربي سياسياً واقتصاديا واجتماعيا لتوسيع نفوذهم في البلاد المغاربية بأقل التكاليف الممكنة.

ونتيجة لهذا الأسلوب المتخذ من قبل الرومان في ربط العلاقات مع بلاد المغرب القديم، كانت هذه الأخيرة معرضة لآثار التقلبات في السياسية الرومانية تعرضاً مباشرا، حتى أنه كانت تقحم في الصراعات الرومانية وتتحمل النتائج السلبية الناتجة عن هذه الصراعات، لكن من جهة أخرى كان رد فعل النوميديون عن هذه السياسة متباينا، ويختلف حسب شخصية الملوك، وحسب الظروف التي مرت بها المملكة، فقد قاد النوميديون محاولات تحررية عديدة ضد الهزات السياسية الرومانية، اتخذت أشكال متعددة، فموقف يوبا الأول لا يخرج عن هذا السياق، وقد برز في شكل مناورات سياسية ومساومات عسكرية.

أولا: الحرب الأهلية الرومانية الثانية ودور يوبا الأول فيها.

1- **أسباب الحرب الأهلية الثانية**: كان انتصار سولا على ماريوس وأتباعه في إفريقيا سنة 81ق.م، دافعا في مطالبته بتعيينه ديكتاتورا في روما، فكان له ذلك (عبد الحق سالم عادل، 1959،ص405) ، وأول أعماله هي الشروع في تصفية أعدائه ومصادر أملاكهم، وبالمقابل كافأ أصدقائه، وأعلن عن عتق عشرة آلاف عَبْد من عبيد خصومه، واتخذ منهم أعوانا له ولدستوره (Plutarque, 1985, I.63)، وأصبحت قوائم خصومه تعلق في الساحة العامة، وتستباح دمائهم وأموالهم وممتلكاتهم، وخصص منح لمن يوشي بأعدائه (Appien, 1808, I, 59.) وتجسد قمة حقده - سولا- أن أمر برمي رماد جثة ماريوس في النهر، وإزالة الأنصاب التي أقيمت له تذكارا لانتصاراته (Plutarque, 1985, I.65).

وفي سنة 80 ق.م اعتزل سولا الحكم من تلقاء نفسه، بعد أن أعاد النفوذ والسلطة لمجلس الشيوخ، وقضى بقية حياته في قصره الريفي بكمبانيا (أورسيوس باولوس، 1982، ص 267)، وفي عام 78ق.م توفي وشيع جثمانه في موكب جنائزي رسمي، حيث أوصى بكتابة عبارة على قبره مفادها "لقد كافأت أصدقائي وعاقبت أعدائي" (إبراهيم، أ، 1996، ص 222).

لكن العامة والفرسان لم يرضوا بإصلاحات سولا، فلم تكد تمر 10 سنوات حتى ثاروا على هذا الدستور الذي خَوَّل كل السلطات لمجلس الشيوخ، أما هذا الأخير فرأى في بومبيوس القائد المفضل والخليفة الأمثل لسولا (Plutarque,1985, I.73) ، بذلك ظهر الصراع بين العامة ومجلس الشيوخ، وأصبحوا لا يلتقون في حوار سياسي، غير القوة العسكرية لحل الخلافات السياسية، وهذا ما أدي إلى ظهور قادة عسكريين على مسرح الأحداث السياسية، وهما غنايوس بومبيوس Pompée و يوليوس قيصر Jules César.

كان بومبيوس يميل إلى مجلس الشيوخ، أما يوليوس قيصر فكان يناصر الشعبيين، فكلف الأول بإخضاع القراصنة في البحر المتوسط، والقضاء على ميتريدات لمدة ثلاث سنوات، ثم كلف بحملة إلى المشرق نفذها بأحسن حال (إبراهيم أ، 1996، ص ص222- 223)، ثم قام بتسريح جيشه، ورغم ذلك رفض مجلس الشيوخ منحه موكب النصر، ورفضوا الاعتراف بانجازاته في الشرق، كما رفض توزيع الأراضي على جنوده المسرحين (إبراهيم،أ، 1996، ص 225).

أما قيصر فقد عاد إلى روما بعد وفاة سولا، فبرز بشكل لافت في السياسة، فتم تعيينه كاهنا، ثم برايتور سنة 62 ق.م، ليتولى سنة 61 ق.م حكم إسبانيا البعيدة، ثم قنصلا سنة 59 ق.م رغم معارضة النبلاء وبعض الفرسان، غير أن سير الأحداث في روما أدت إلى حدوث تقارب بين قيصر وبومبيوس في صيف 60 ق.م، الأمر الذي سهل لقيصر الفوز بالقنصلية وبدعم من كراسوس، وتمكن قيصر من مصالحة بومبيوس و كراسوس (إبراهيم،أ ،1996: ص226) ، وأبرما اتفاقا لدعم قيصر في تحقيق أهدافه، فشكلوا "الحلف الثلاثي"، وسيطروا على الشعب ومجلس الشيوخ (Moinier, C.1900 :07).

في قنصليته الأولى أصدر قيصر تشريعات - كان قد اتفق عليها مع بومبيوس و كراسوس- منها توزيع الأراضي على الجنود المسرحين والمواطنين الفقراء في روما، وأراضي أخرى في كمبانيا (الصفدي. ه، 1967: 281)، فرغم رفض السينا إلا أن القانون طبق بعد عرضه على الشعب، فأصبح ساري المفعول ، ثم أسندت له- قيصر- ولاية غالة القريبة لمدة خمس سنوات، وضعت تحت إمرته ثلاث فرق عسكرية، وبذلك سمحت الفرصة لبومبيوس بالاقتراب من الأرستقراطية والتصالح معها، وإعادة شيشيرون بعد نفيه من قبل كلاوديوس لمدة 16 شهرا (Appien, 1808, II, 16) ، لكن انتصارات قيصر في ولاية غالة، كان لها صدى في روما ومكنته من توسيع نفوذ حزبه.

قام بعد ذلك أعضاء الحلف الثلاثي بعقد مؤتمر" لوكا" الذي أقر انتخاب بومبيوس و كراسوس لقنصلية سنة 55 ق.م على أن يتولى بعدها الأول حكم إسبانيا وإفريقيا، أما الثاني فيتولى حكم سوريا لمدة خمس سنوات لكليهما، وتمدد فترة حكم قيصر في غالة لنفس المدة (Appien, 1808, II, 17).

لكن تحولات خطيرة حدثت بعد ذلك في روما، كلها تنذر بوقوع صدام بين بومبيوس وقيصر، وتمثلت هذه التطورات في انهزام كراسوس في معركة "كرهاي" التي أودت بحياته، في حملة ضد البارثيين في الشرق (Duruy. V. 1855 : XXII.) على يد الملك أورود (Orodes) عندما عَبَر نهر الفرات، هذا الأخير كان يتوق إلى السلطة مع حبه للمال، هذه الحملة العسكرية أراد بها الشهرة، حتى يوازي بها شهرة قيصر وبومبيوس، كل هذه الأحداث مزقت الائتلاف الثلاثي (Velleius.P, C,1825 : L. II, XLVII)، و كذلك تصاعد نجم بومبيوس جراء عمليات التموين التي قام بها لروما من إسبانيا وإفريقيا وتعيينه قنصلا وحيدا، ولهذا حرص قيصر على الفوز بالقنصلية للمرة الثانية، حث نقباء سنة 52 ق.م، باستصدار قانون المعروف باسم النقباء العشرة الذي يجيز له الترشح وهو متغيب عن روما، كانت مدة حكمه في غالة تنتهي في 01 مارس سنة 49 ق.م (Duruy. V. 1855 : XXII) لأن كان عليه بعد هذا التاريخ التنحي عن سلطته البروقنصلية، ويعود إلى روما كمواطن عادي مجرد من الحصانة، ومن ثم يمكنه الترشح للقنصلية.

لكن مجلس الشيوخ رفض تمديد عهدة قيصر في غالة، بل عرضت فكرة إنهاء قنصليته بدعوى نهاية الحرب، ثم طرح كوريو فكرة مفادها بأن يتخلى كل من بومبيوس وقيصر على بروقنصليتهما، وتسريح جيشيهما، ولقيت هذه الفكرة قبولا من طرف مجلس الشيوخ تجنبا لحرب أهلية (Appien, 1808, II, 32)، ومعنى هذا العزل، والبقاء خارج البلاد أو المحاكمة، خاصة كاتون الذي كان يرجوا محاكمة قيصر ونفيه (Autrope, 1863 V, XVI)، أما عن قيصر فقد عمل على إزالة أسباب النزاع بينه وبين خصومه، حيث وجه رسالة إلى مجلس الشيوخ يعلن فيها استعداده لتسريح جيشه عدا فيلقين إذ سمح له بأن يظل والياً على غالة حتى عام 48 ق.م مع أليريا، حتى يتسنى له الحصول على القنصلية، لكن المجلس رفض الاقتراح وطلب من قيصر أن يسرح جنوده (Velleius. P. II, XLIX : 1825) على إثرها قدم قيصر مقترحاً على مجلس الشيوخ بواسطة أنطوان (Antoine)، أن يعتزل هو وبومبيوس من منصبيهما، وافق المجلس على هذا العرض بأغلبية ساحقة 370 صوت مقابل 22 صوت (عبد اللطيف،أ، ب.ت: 234)، لكن أتباع بومبيوس منهم مارسيلوس وخاصة سكيبيو رفضا علناً.

كان قيصر يعرف أن مجلس الشيوخ على حق قانونياً، فقام – قيصر- بإعطاء كل جندي من الجنود المتاخمين في غالة حوالي 250 درخمة (le Dirham/Drachmes)، وقام مخاطباً جنوده، بدأ كلامه بـ:"أصدقائي الجنود" إذا كنت تأخرت في عبور هذا المجرى المائي، بالنسبة لي النتيجة هي العديد من المصائب إذا عبرت على الفور، والعالم سوف يعاني من عواقبه"(Glaesener H.1953:103)، كما ذكر لهم ما عرضه على مجلس الشيوخ وما كان من موقف المجلس ضده، كما بيّنَ لهم فساد الأرستقراطية في روما.

فرد قيصر سريعا على مجلس الشيوخ بأن أمر قواته بالزحف عَبْر نهر البو إلى إيطاليا، للثأر من مجلس الشيوخ، الذي أمره بالعودة إلى روما وتسريح قواته وإلا اعتبر عدو الشعب الروماني، لكن قيصر اجتاز نهر الروبيكون على رأس فرقة عسكرية، وترك خمسة خلفه في غالة، ولكن بعد دخوله تراب إيطاليا انظم إليه الفيلق الثامن والثاني عشر، ثم قام بإنشاء فيالق جديدة من أسرى الحرب والمتطوعين.

في هذه الظروف كانت مدن إيطاليا تفتح أبوابها مرحبة بقيصر وجنوده، كتب شيشرون في ذلك يقول "إن المدن تحييه كأنه إله معبود " ولم يستطع شيشرون أن يوفق بين قيصر وبومبيوس (معدي،م، 2010: 104) ويقال أن قيصر قال قول مأثور "لقد قضى الأمر"(lacta est alea) (Plutarque, 1983, XXXII,120) وهذا العمل اعتبر تمردا وتجاوزا للتقاليد الرومانية.

لم تكن القوات الحربية التي كانت تحت قيادة بومبيوس كافية لصد قيصر، فانسحب هو ومعظم أعضاء مجلس الشيوخ وعدد كبير من الأعيان إلى مقدونيا، وكلفوا أتيوس فاروس بوقف قيصر، غير أن رؤساء المدينة طلبوا منه أن ينسحب (Gsell. St, 1920,T. VIII:4)، فسيطر بذلك قيصر على إيطاليا دون مقاومة، وأعلن نفسه ديكتاتورًا، ودفعت له المقاطعات الإيطالية الضرائب التي كانت تدفع للحكومة في روما، وتكوَّن له جيشا قويا(Gsell. St, 1920, T. VIII :7) .

نستنتج مما سبق أنه أصبح على رأس الجمهورية الرومانية قيادتين متصارعتين، مجلس الشيوخ في روما ويضم قيصر وأنصاره مثل كوريو Curio، وماركوس أنطونيوس Marcus Antonuis وكاسيوس Casius، أما المجلس الثاني في مقدونيا فيضم أنصار بومبي وشيشيرون Ciceron وكاتو Cato و سكيبيوScipio.

2- دور يوبا الأول في الحرب الأهلية الثانية.

بعد وفاة هيمصال الثاني انتقل المُلك إلى يوبا الأول عام 60 ق.م، فتولى حكم نوميديا الشرقية، وخلف ماسينتا في نوميديا الغربية ملك يدعى ماسانسس Masanasses (Gsell. St,1920,T VII, :291-292) ، فإن كانت المصادر لا تذكر شيئا عن هذا الأخير غير تحالفه مع هيمصال الثاني، فإن يوبا الأول قد ظهر على مسرح الأحداث السياسية منذ حياة والده هيمصال الثاني (Mazard. J,1955 :49) عندما كلفه عام 62 ق.م بالاحتجاج أما مجلس الشيوخ الروماني ضد ماسينتا Masintha أحد المتمردين، فلقي استجابة من مجلس الشيوخ، لكن قيصر وقف ضد قرارات أعضاء السينا، بل أكثر من ذلك سب يوبا الأول و كل جنسه من النوميديين (Gsell. St,1920,T. VIII :294)، وبذلك أفشل قيصر مهمة يوبا الأول، والتي كانت سببا في سلوك يوبا ضده في ما بعد.

يذكر قزال أن يوبا الأول كان يميل إلى الظهور بالمظهر الفاخر في شخصيته، محاولا الحفاظ على عادات وتقاليد وطنه، و كثيرا ما ينبذ تقاليد الإغريق والرومان، وميالا للعمل العسكري خلافا لوالده هيمصال الثاني(Gsell. St,1920,T. VIII :292)، فمنذ توليه العرش حاول فرض سيطرته على المملكة، من خلال القيام بالعديد من الحملات العسكرية ضد القبائل التي ترفض سلطته وأخضعها بالقوة، كما كان في صراع مع جيرانه الغربيين "موريطانيا"، فضلا عن توسعه على حساب إقليم لبدة المدينة الحليفة لروما (حارش،م،ه. ب،ت: 74)، فتدخلت الأخيرة للضغط عليه لاسترجاع ما احتله، وصل بهم الأمر إلى اقتراح كوريو Curio سحب مملكة نوميديا منه وتحويلها إلى مقاطعة رومانية (Dion Cassius,1945 : XLI, 41.3)، وبذلك يذكر حارش أن سياسته هذه لم تسمح له ولو بعد مدة طويلة من الحكم من أن يحصل على لقب "صديق وحليف الشعب الروماني" من قبل مجلس الشيوخ (حارش،م،ه. ب،ت: 76).

وفي إطار الحرب الأهلية بين بومبيوس وقيصر كما ذكرنا سابقا، يبدوا أن يوبا مدعو ليلعب دورا في هذا الصراع في روما، والذي سينتقل إلى إفريقيا لا محال، ولكن ما سبب انضمام يوبا لهذه الحرب ؟ ما هي دوافعه ؟ لماذا اختار أنصار بومبيوس ؟ وما هي نتيجة هذا الصراع ؟.

في هذه الأزمة التي وصلت إليها الجمهورية الرومانية من انقسام سلطتها إلى قيادتين، إحداها في روما والأخرى في مقدونيا، انضم الملكان الموريطانيان بوخوس الثاني وبوغود إلى قيصر، في حين وقف يوبا الأول ملك نوميديا الشرقية وأرابيون ملك نوميديا الغربية إلى بومبيوس (بشاري،م،ح، 2012: 55)، و كان اختيار يوبا الأول للحزب الأرستقراطي لأسباب ذات أبعاد وطنية، منها أنه كان على علم بخفايـــا سياسة قيصر التوسعية (شنيتي،م،ب، 2007: 61) ، خاصة وأن فاروس وعده بأن تتنازل روما لـــه عن الأراضي التي تحتلها في إفريقيا، إذا ما وقف إلى جانب مجلس الشيوخ المناهض لقيصر (Piganiol,A,1924 :552) .

أما شنيتي يشير إلى أن يوبا الأول اعتبرها فرصة لتخليص إفريقيا من السيطرة الأجنبية، وتحقيق حلم مسينيسا في إقامة مملكة نوميدية واسعة تشمل كل الأراضي التي يقطنها نوميديون (شنيتي،م،ب، 2007 :62)، بالإضافة إلى ملاحظته لتحفظ التيار الارستقراطي في توسيع حدود ولاية إفريقيا، على حساب مملكة نوميديا عكس التيار الموالي لقيصر، ذلك

أن كوريو طرح فكرة تجريد يوبا من مملكته، وتحويلها إلى مقاطعة رومانية (نصحي،إ، 1983: 629)، وهذا راجع إلى الخلافات بين السلطة الحاكمة في نوميديا وأنصار قيصر، حيث لا يستبعد حارش قضية ماسنتا الذي دافع عنه قيصر وراء هذه العداوة من جهة ورفض اعتباره صديقا للشعب الروماني، وكذلك كان لتصرفات يوبا الأول قد أثارت مخاوف كوريو ومن وراءه مجلس الشيوخ (حارش،م،ه. ب،ت: 75).

وقد نجد ما يدعم ذلك عند شنيتي، من خلال ما وصفه بلفتة إعلامية محضة (شنيتي،م،ب، 2007 :62) عندما أقدم سنة 49 ق.م على ضرب نقود تحمل صورة الملك يوبا والآلهة الإفريقية129: 1948) (Toussel, M,، فهي ذات أبعاد سياسية تستهدف دفع النوميديين لأن يلقوا بثقلهم في ميدان الصراع الحزبي الروماني إلى جانب الارستقراطية، أما فنطر فيذهب إلى أبعد من ذلك، بحيث يرجع هذا التحالف إلى الفضل الكبير لبومبي الذي أعاد والده هيمصال الثاني إلى العرش بعد القضاء على هيربا (Decret, F, 1981 :152 ,Fantar,M).

فرغم الأسانيد التاريخية الكافية لتفسير الدوافع الحقيقية التي جعلت الملك يوبا الأول يختار ذلك الموقف، إلا أنه كان مدعوا ليلعب دورا في هذا الصراع، فيكون بذلك اختار أهون الشرّين حسب شنيتي، فدور يوبا الأول ندرجه ضمن النشاط الوطني التحرري (شنيتي،م،ب، 2007 :63).

رأينا مما سبق أن دخول قيصر إلى روما في جانفي 49 ق.م تشتت أعدائه، فمنهم من توجه إلى شبه جزيرة البلقان، وعلى رأسهم بومبيوس، ومنهم من توجه إلى إسبانيا، بينما توجهت مجموعة ثالثة إلى إفريقيا، حيث تولى سكيبيو شؤون قيادة الجيش، وتولى فاروس قيادة الأسطول البحري، أما كاتو فقد أسندت إليه مهمة تنظيم المدينة، كما انظم إليهم أحد قادة قيصر وهو لابينوس (T. Labienus) الذي أحضر معه إلى أوتيكا حوالي 1600 فارس من الجرمان والغاليين الذين نجوا من معركة فرسالوس، كان هذا الأخير في جيش قيصر ولكنه غادره وانظم إلى بومبيوس سنة 49 ق.م، فكان تواجد هؤلاء في مقاطعة إفريقية يشكل مصدر قلق على يوليوس قيصر، حيث بإمكانهم نشر المجاعة في روما، بإيقافهم إرسال القمح الإفريقي الضروري لتغذية سكان روما، وخاصة العاطلين منهم (Mommsen 1863 :307 ,Th)، فحسب قزال فإن ذلك سوف يتسبب في انتشار

الفوضى في العاصمة روما والثورة ضده، لذلك قرر التعجيل بإفتكاكها منهم (Gsell. St, 1920,T. VIII :7).

بدأ الطرفان في الاستعداد للحرب، فقد جمع أنصار بومبيوس جيش يقدر بـ 60 إلى 70 ألف، ووزعوه على مناطق محصنة في إفريقيا، منها حضرموت، ثابسوس و كليبيا، وأوتيكا (فرحاتي،ف،2007: 117) ، ومن جهته هيأ يوبا الموانئ والمحطات البحرية للدفاع، كما اعتبرها فرصة سانحة للانتقام من قيصر (Appien, 1808, (II, 7.44، هذا الأخير قاد حملة ضد اسبانيا، بينما كلف كوريو بمحاربة أتيوس فاروس وحلفائه النوميد.

من خلال تتبعنا لمسيرة يوبا الأول يبدوا أنه كانت له وجهات نظر سياسية ذات أبعاد وطنية، من الملاحظ أنه كان على علم بسياسة الرومان التوسعية، خاصة خفايا قيصر المستقبلية التي كان يتوقعها يوبا الأول، المتمثلة في ضم الممالك المغاربية المتبقية في حال انتصار قيصر على بومبيوس، فما كان على يوبا الأول سوى اختيار الجانب الأقل ضرراً للحفاظ على مملكته من خطر التوسع.

3- حملة كوريو على إفريقيا 49 ق.م.

بعث قيصر كوريو نقيب العامة في سنة 50 ق.م بأربعة فرق إلى صقلية ليستولي عليها، فلما وصلها انسحب منها كاتون إلى إفريقيا، ثم انطلق كوريو مع مساعده ربيلوس إلى إفريقيا سنة 49 ق.م على رأس فرقتين عسكريتين، والمقدرة بـ 10 آلاف جندي من المشاة و 500 فارس (Mommsen,Th,1863 :305)، وكانت سفن نقل الجنود في حراسة إثنى عشرة سفينة حربية، واستغرق العبور يومين وثلاثة ليالي تقريبا، حيث نزل بمنطقة أنكيلاريا، في حين اتخذ أنصار بومبيوس من أوتيكا مقرا لهم (Gsell. St,1920,T VIII :10).

لقد حقق كوريو انتصارات أولية بعد نزوله بأرض إفريقيا، حيث عند عودته للمعسكر حياه الجيش بلقب إمبراطور، ولا شك أن هذا الانتصار السهل الذي ناله بفضل فرسانه 500 لا يستحق كل هذا التشريف (Gsell. St,1920,T VIII:11)، لكن هذا ما دفعه إلى حصار أوتيكا التي تحصن بها فاروس، بعد أن شجع كوريو جنوده وحفزهم بأنه سيمنح كل واحد منهم إقطاعا لو انتصروا على فاروس، فرفض بعض الجنود محاربة إخوانهم الرومان، لكن كوريو أقنعهم بأن الحرب موجهة

للقضاء على النوميديين، أين حاول بعض الرومان إقناع فاروس بتسليم المدينة لكوريو، خشية أن يقعوا تحت سيطرة يوبا ويفقدوا ممتلكاتهم (Gaid, M.1972 :80)

لاحظ يوبا الأول الذي قدم إلى مدينة أوتيكا أن فاروس قد تأخر في مواصلة القتال، فما كان عليه إلا التحرك ومبادرة القتال بنفسه، حيث قام بإدخال بعض العناصر من جيشه وسط جيش كوريو بصفتهم فارين من الجيش النوميدي، كل ذلك من أجل الحصول على المعلومات الصحيحة وإعطاء المعلومات الخاطئة عن جيش يوبا الأول، ثم أرسل قوات معتبرة بقيادة سابورا لنجدة فاروس وقدرت بحوالي ألفين فارس من الخيالة المرتزقة الإسبان والغاليين (Guichard, C. s.d :218)، وعدد كبير من المشاة وقام يوبا بالتحرك ورائهم بمعظم الجند وحوالي 60 فيل مدرب، حيث استطاع فك الحصار ودفع كوريو إلى التراجع والتحصن خلف معسكر كورنيليا، ليستدرجه يوبا الأول إلى مكان اختاره ليكون ميدانا للمعركة (Appien, 1808, II, 45)، هناك حاصره على رأس قوات معتبرة من النوميديين والغاليين والإسبان، فأبادهم عن آخرهم (Dion Cassius,1945: XLIII,30).

أما ما تبقى من جنده- كوريو- في معسكر كستراكورنيليا بقيادة م، روفوس Rufus، فعندما علموا بمقتل قائدهم اتجهوا إلى الميناء للإبحار، فلم تسعهم السفن لأعدادهم الكثيرة، وغنائمهم الوفيرة، فكانت هذه الأخيرة سببا في وقوعهم في يد قراصنة البحر، أما الذين استسلموا فقد أبادهم يوبا (Appien, 1808, II, 46.11)، عدا المرتزقة الغاليين الذين ضمهم إلى جيشه، وبذلك فكان يتصرف بكل حرية، حيث يذكر قزال أن فاروس ثار على هذا التصرف، أنه تعدى على القوانين الرومانية التي تنص على أن الأسرى يصبحون ملك للرومان، ولكن لا أحد يستطيع الوقوف في وجه أوامر الملك النوميدي (Gsell. St, 1920,T VIII:24).

هذا الانتصار رفع من مكانة يوبا الأول، فقد كسب تأييد مجلس الشيوخ في مقدونيا، ومنحه لقب صديق الشعب الروماني، وحسب قزال فإن انتصاره –يوبا- على الفيالق الرومانية جعله يستحق هذا التشريف (Gsell.St, 1920,T. VIII :25)، وبذلك أصبح يوبا يعتبر نفسه الحاكم الحقيقي ليس لمملكة نوميديا فقط وإنما على مقاطعة إفريقية كذلك،

وكان يرى في القائد الروماني مجرد مساعد له، وفي نفس الوقت اعتبر مجلس الشيوخ الموالي لقيصر في روما أن يوبا عدو الشعب الروماني، ويجب معاقبته (Dion Cassius,1945 : XLI, 42.7).

وبذلك استطاع يوبا بفضل سياسته أن يكسب الكثير من الأنصار إلى صفه في إفريقيا، ويجند أعداد كبيرة، منها 30 ألف من المشاة وقوات معتبرة من الفرسان و60 فيلا (نصحي، إ، 1983: 657)، بالإضافة إلى قوات أنصار بومبيوس البالغة عددها 35 ألف جندي، منها 15 ألف فارس، وأسطول بحري من 50 إلى 60 سفينة (Lacroix, M,L, 1870 : 51).

ومن جهة أخرى قام قيصر في 29 نوفمبر 49 ق.م بعبور البحر الأيوني إلى شمال اليونان مباشرة إلى مدينة براندیزي عن طريق بحر الأدرياتيكي على رأس 15 ألف ليفاجئ بومبيوس وأنصاره، فتمكن من إلحاق هزيمة ساحقة على بومبيوس في معركة فارسالوس في 9 أوت 48 ق.م (بشاري،م،ح، 2012: 56)، انتصر فيها قيصر رغم الفارق الكبير بين الجيشين، حيث يتألف جيش بومبيوس من 45 ألف من المشاة و07 آلاف فارس، أما جيش قيصر فيضم 22 ألف من المشاة وألف فارس (Dion Cassius,1945 : XLI, 55-6)، لاذ بومبيوس بالفرار إثر هذه الخسارة المروعة.

وبعد هذه المعركة تفرق أتباعه، حيث فر بومبيوس إلى مصر، ولكن وجد مقتولا في السفينة التي أقلته في 16 أوت 48 ق.م، وانتقل أنصاره إلى إفريقيا التي تحولت إلى معقل للجمهوريين، ومعقد آمالهم في استرجاع زمام السلطة في روما، (Gsell.St,1920,T. VIII:35) لكن هذا لم يكن في صالح قيصر المتواجد بمصر، حتى إن مخططاته لم تجري كما أراد، فمثلاً قائده بإسبانيا كوينتوس كاسيوس لنجينوس (Quintus Cassis Longinus) الذي من المفروض أن يبحر باتجاه موريطانيا الغربية بأربع فرق إلى الملك بوغود ثم يتابعون زحفهم إلى نوميديا وإفريقيا ولكن جند هذا القائد تمردت عليه وخاصة بعد وجود ابن بومبيوس بإسبانيا (Mommsen, Th,1863 :24-25) فقرر - قيصر- هذه المرة أن يقود الحملة بنفسه على إفريقيا، للانتقام من أنصار بومبيوس ويوبا الأول، ولنجاح حملته، يجب أن يبحث على حلفاء له في إفريقيا، كما فعل من قبل سكيبيو الإميلي، فكسب إلى حلفه كل من ملكي موريطانيا بوغود وبوخوس الثاني

وإعلانهما حليفا و صديقا الشعب الروماني، وجلب المرتزق الايطالي سيتيوس. (Dion Cassius,1945 : XLI,42.7)

4- **حملة قيصر على إفريقيا**: بعد أن نَظَّم قيصر أموره في الشرق، وكسب حلفاء من إفريقيا، جمع جيشا مُكَوَّن من 10 فرق من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان، وتجمع في صقلية، ثم انطلق من منطقة ليليبايوم على رأس ستة فرق من المشاة، وسبعة كتائب من الفرسان ، ويقدر عدد فرسانه ما بين 2000 إلى 2600 فارس، وقوة صغيرة من الفرسان خفيفي العدة (César, 1949 : II.1.2-5).

نزل قيصر في حضرموت في 31 أكتوبر 47 ق،م على رأس 3000 من المشاة و 150 فارس (César, 1949 : VI, 6.)، بعد أن فقد البقية في البحر بسبب العاصفة، عندما وضع قيصر أقدامه في تراب إفريقيا تعثر فحاول تغطية ما حدث أمام جنوده بقوله: "Teneo te, Africa !" **إفريقيا لقد أمسكتك**"، فهي قوات متواضعة يقول حارش مقارنة بقوات أنصار بومبيوس المقدرة بـ 60 ألف، و كان من الأجدر عليهم أن يحاصروا قوات قيصر، لكنهم تركوا العنان للجنود كي ينهبوا الولاية الرومانية، وهذا ما كان له أثر سلبي، حيث انفصل سكان المنطقة عنهم (حارش،م،ه، ب،ت: 78).

كان قيصر يهدف إلى السيطرة على مدينة حضرموت، التي وجد فيها حامية بقيادة كايوس كانسيديوس رفقة خيالة حضرموت (Hadrumète/Adrumetum) وحوالي ثلاث آلاف مقاتل نوميدي، لم يتلقى قيصر أي مجابهة من طرف حاكمها كونسيديوس (César, 1949 : II.1-2)، لكنه فشل في السيطرة عليها، فقام –قيصر- ببعث رسالة إلى قائد حامية حضرموت لاستدراجه إلى جانبه، ولكن كونسيديوس قتل الرسول وبعث بالرسالة إلى سكيبيو (Moinier,C.1900 :315)، مما فرض عليه التوجه إلى لمطة ثم روسبينا، بعد أن وضع حامية بها –لمطة- وجعلها وسيلة لتلقى للإمدادات، في أثناء انتقاله تلقى وفود كثيرة مرحبة به، كما بعث قيصر إلى المقاطعات الأخرى مثل سردينيا والمقاطعات الأخرى من أجل تموينه بالمواد الضرورية والفرق العسكرية (Gsell. St,1920,T. VIII:87)، كما أمر رابيريوس بوستيموس (Rabirius Postumus) إلى صقلية لجلب الفرق الأخرى، في نفس الوقت بعث 10 كتائب لجلب السفن التي لم ترسوا بعد مع تأمينها، كما أرسل البرايتور كايوس ساليستيوس على

رأس مجموعة من السفن نحو جزيرة قرقنة للاستيلاء عليها نظراً لما كانت تحويه من مخازن معتبرة من القمح والمؤونة، وقد نجح ساليستيوس في مهمته بالاستيلاء على خزائن العدو وتسليمها إلى قيصر(César, 1949 : VIII.4).

لقد تمكن قيصر من صد حملة لابينيوس التي كان غالبيتها من الجنود النوميديين، لكن وصول سكيبيو ويوبا الأول على رأس قوات معتبرة قدرت بثمانية فرق وثلاثة آلاف فارس، فضلا عن قوات الملك النوميدي التي بفضلها حوصر قيصر في روسبينا (Appien, 1808, II, 96).

لكن تطورات خطيرة سوف تحدث، منها سيطرة ساليست على جزيرة قرقنة، وما تتوفر عليه من مؤن، وكذلك استيلاء سيتيوس وبوخوس على مدينة سيرتا، ومن جهتهم، هاجم الجيتول وبتحريض من قيصر على مملكة يوبا من الجنوب (César, 1949 : XXXII.)، هذه الأحداث جعلت يوبا يتخلى عن حملته في الشرق ليعود إلى حماية مملكته، وقسم قواته على ثلاث جبهات.

لقد كانت هذه التغيرات في صالح قيصر، الذي تعززت قواته بفرقتين و 800 فارس و 1000 من رماة النبال، مما أدخل الثقة في نفس قيصر، وأعطاه دفعا قويا، خاصة بعد وصول الجيتوليون الفارون إلى جانب قيصر، بعد عدة اتصالات من جانب قيصر، أدت بهم إلى التخلي عن يوبا الأول. فاتجه جنوبا نحو أوزيتا Uzita التي سيطر عليها سكيبيو، لكن هذا الأخير رفض القتال، مما شجع قيصر على حصارها، لولا قدوم لابينيوس، الذي دفعه إلى الانسحاب إلى أغار واستولى على سارسورا في فيفري 46 ق.م(César, 1949 : XXXII.) XXXV. XL. XLIII.4.8

غَيّر يوبا الأول بعد ذلك من خطته، فترك سابورا كقائد على قواته في سيرتا لمواجهة سيتيوس، وعاد هو إلى جانب معسكر سكيبيو، وعسكر قربه، لكن قيصر وصلته آخر دفعة من قواته المقدرة بأربعة آلاف من المشاة و400 فارس، وألف من رماة النبال و المقاليع، وقرر محاصرة ثابسوس (حارش،م،ه. ب،ت: 79).

تقع مدينة ثابسوس على البحر، في مكان يشكل برزخ ما بين الحافة الشرقية لسبخة مكنين وشاطئ البحر، ويمكن الوصول إليها عبر برزخين من الجنوب والغرب، حيث أقام قيصر في الجنوبي منه، وهو المكان الذي نجح قيصر في استدراج خصومه إليه، مع أن الاستدراج خطط له سكيبيو، وهو أن يستدرج القيصريين إلى نفس المكان ويتم غلق

مدخلي البرزخ، ثم يفرض حصار محكم عليهم هناك، ويبدوا على الأرجح أن قيصر اكتشف ما ينويه خصومه فاتخذ احتياطاته وأوقعهم في ما خططوا له (العقون، م.ع، 2004- 2005: 28- 29).

قام يوبا الأول بمحاصرة باجة القريبة من حضرموت، بسبب تدعيمها لقيصر، وفرض السيف على أهلها عن آخرهم (César, 1949 : LXXIV,35)أما قيصر فقد شرع في استدراج العدو إلى الموقع المناسب والمعركة الفاصلة، وسرعان ما تهيأت له الفرصة، عندما عبر برزخ ضيق لمحاصرة بلدة ثابسوس، ففي 6 أفريل 46 ق،م قام قيصر بهجومين كاسحين، حيث شن قيصر هجوماً خاطفاً على حشود العدو والتي انحصرت في قطاع ضيق لا يسمح باستخدام فصائل الفرسان (عبد اللطيف، أ، ب.ت: 278) ، وهزم جيش سكيبيو وشتته في البرزخ الغربي، أما الهجوم الثاني فكان على البرزخ الشمالي، حيث كان يعسكر العاهل النوميدي والقوات الرومانية بقادة القنصل أفرانيوس Afranuis اللذين لم يصمدا أمام قوات قيصر، خاصة عندما علما بهزيمة سكيبيو وفراره من ميدان القتال، حيث فقدا أكثر من 10 آلاف قتيل (Cassius, D,1945 : XLIII,9).

غير أن المصادر لم تقدم لنا أي تفصيل عما كان يجري في معسكر يوبا، الذي اتخذ معسكرا خاصا به، فهل اشترك فعلا في المعركة ؟. لأن المصادر تذكر أن القيصريين بعد أن انتصروا على سكيبيو قاموا بالهجوم على معسكر أفرانيوس، واستولوا عليه، فلما شاهد يوبا الأول ذلك اكتفى بالانسحاب باتجاه مملكته، بعد أن يأس من تحقيق حلفائه لأي نصر على قيصر، رغم ما قدمه من مساعدات، وخاصة الأفيال، ولكن سوء التخطيط وضعف القيادة في الصف الجمهوري أدى إلى تلك الكارثة، كما أن الجمهوريين لم يعملوا بنصائح يوبا الأول الذي أشار بضرورة التخلص من ذوي الميول القيصرية في عموم المقاطعة، خاصة في أوتيكا، لأن هؤلاء قدموا الكثير للقيصريين من نقل للمعلومات، وبث البلبلة، ولاشك أن إثارة البلبلة في المملكة النوميدية وتحريك النعرات القبلية خاصة في أوساط الجيتول كان من فعل الجاليات الرومانية المستقرة بإفريقيا (العقون، م.ع، 2004- 2005: 29)، فكيف يمكن لأولئك المستوطنين الرومان أن يقفوا إلى جانب حزب أعلن تحالفه مع ملك نوميدي، وكان ينوي – إن هو انتصر- أن يسلم له إفريقيا، و بذلك ينتقلون من مواطنين

رومان إلى رعايا الملك، الذي يكن عداوة لكل ما هو روماني قيصري، أما في الجهة الغربية فقد انتصر سيتيوس على سابورا وتوجه بعدها نحو قيصر لأخذ مستحقاته (César, 1949 : XXXV).

كانت هزيمة ثابسوس كارثة كبيرة، حيث استولى قيصر على المعسكرات الثلاث، معسكر أفرانيوس، ومعسكر سكيبيو، ومعسكر يوبا الأول، وقاموا بنهبها، كما ترك البروقنصل ربيليوس مع ثلاث فرق محاصرة مدينة ثابسوس ثم اتجه لمحاصرة مدينة ثوزدروس التي يحكمها كانسيديوس(LXXXVI) (César, 1949 : LXXXVI.)، واستسلمت له فلول الجيش الروماني الجمهوري المهزوم، لكن جيش قيصر أبادوهم أمام أعينه (العقون، م.ع، 2004- 2005: 31)، ثم اتجه قيصر نحو أوتيكا حيث يتواجد كاتون مطارداً بقية جند سكيبيو لكن كاتون انتحر قبل وصول قيصر(Cassius, D,1945 : XLIII).

أما مصير القادة الجمهوريين، فقد استطاع سولا فوستيوس وأفرانيوس من الوصول إلى موريطانيا في محاولة للإبحار نحو إسبانيا، لكن اعترض سبيلهما بعض مرتزقة سيتيوس، وألقوا القبض عليهما وسلّما لقيصر الذي قتلهما (فرحاتي، ف. 2010: 183) ، أما سكيبيو فقد حاول الفرار عن طريق البحر، لكن عاصفة معاكسة أعادته إلى هيبون، وقتل هناك، في حين نجح لابينيوس وفاروس وسيكتيوس بومبيوس من الفرار إلى اسبانيا ومعهم أرابيون بن مسينيسا الثاني ملك نوميديا الغربية (بشاري،م،ح، 2012: 57).

وبذلك انضمت إليه المدن المجاورة لقيصر، ففتحت أوتيكا الأبواب له، وأعلنت ثابسوس وثوزدروس طاعتها بعد فترة من الحصار، فضلا عن أوزيتا وحضرموت دون مقاومة، وفي هذه الظروف الصعبة وجد يوبا الأول نفسه معزولا ومعه القائد بتريوس، ولعل وجهتهما في الأول كانت أوتيكا على أمل الالتحاق بكاتون، لاستئناف القتال من جديد، لأن يوبا الأول أرسل إلى كاتون يستعلمه عن ماذا يكون قد قرر للدفاع عن أوتيكا وبقي متخفيا ينتظر الرد، ولما لم يصله شيء قرر العودة إلى عاصمته (العقون، م.ع، 2004- 2005: 31)، لكن المدن التي مر بها رفضت فتح أبوابها، حتى أدرك زاما- ريجيا التي أغلق سكانها الأبواب في وجهه خشية تدميرها، لأنه قطع وعدا على نفسه قبل مغادرتها، بإحراقها بمن فيها في حالة هزيمته،كما قام أهلها باستدعاء قيصر لحمايتهم، و ربما هذه

القصة هي ذات حبكة رومانية، الهدف منها خلق الفوضى والبلبلة التي استغلتها الجالية الرومانية لصالحهم، في حين استقبل سكان زاما الإمبراطور المنتصر استقبالا باهرا (Berthier, A. 1981 : 87-88).

وما كان على يوبا الذي فقد مملكته ورفضت عاصمته أن تفتح أبوابها له، وهو الذي كان يحلم أن يجعل من نوميديا مملكة مستقلة، فانسحب رفقة بتريوس إلى بيته الريفي، فلم يبق له غير الانتحار(Decret, F, Fantar,M 1981 :156)، فمات بذلك معه آخر أمل للنوميديين من أجل إعادة بناء دولة قوية، حيث فضل الموت على الاستسلام لقيصر في ضواحي زاما على الاستسلام للأعداء (حارش، م،ه. 2001: 257).

على إثر هذه التغييرات غادر قيصر مدينة أوتيكا، وصل في 14 أفريل إلى كاراليس (Caralis) على سواحل سردينيا، ثم إلى روما التي وصلها في 25 ماي 46 ق.م (Moinier, C.1900 :11)، أين خاطب جمهورها في احتفاله بالنصر على مصر ثم إفريقيا، لأنه أرضخ هذه البلدان للشعب الروماني التي سوف يستفيد منها كل سنة 200 ألف صاع من القمح وثلاثة مليون لتر من الزيت (Plutarque, 1983, LV)، كما أن قيصر أحضر في احتفاله هذا ابن يوبا الأول الذي لم يكن حينها إلا طفلاً و 40 فيل، وسلم لكل جندي من كتائبه خمسة آلاف دينير (Denier/Dinarius)، بعد تسميته قنصل للمرة الرابعة اتجه إلى اسبانيا لمحاربة ابن بومبيوس وما تبقى من الأعداء(Plutarque, 1983, LIV).

ثانيا : إنعكاسات الحرب الأهلية الثانية.

1- **إنعكاسات الحرب على نوميديا**: بعد انحياز يوبا الأول عاهل نوميديا إلى الحزب الأرستقراطي (Optimates)، وربط مصيره بقادة ولاية إفريقيا، كانت النتيجة أنه لقي مصيرا مؤلما على يد يوليوس قيصر حينما انتصر على خصومه سنة 46 ق.م (شنيتي، م،ب. 2007: 60) وحتى الجالية الإيطالية لم تسلم من ذاك الصراع لأنها عبرت عن مكانتها في الولاية البروقنصلية بمشاركتها في الحرب وذلك بانضمامها إلى الحزب الأرستقراطي، كقوة يجب أخذها في الحسبان أثناء الحرب الأهلية التي دارت بين أتباع قيصر وبومبيوس .

لقد ترتب عن نهاية الملك يوبا الأول، هذه النهاية المأساوية، نهاية المملكة النوميدية، وفقدان النوميد لسيادتهم بعد ذلك قرونا عديدة، وبعد انتصاره في حرب إفريقيا سنة 46 ق.م، قام يوليوس قيصر بإجراءات عديدة

كانت لها انعكاسات خطيرة ليس على نوميديا وحسب، بل على كامل التراب المغاربي القديم.

كان يوليوس قيصر قد أمر بإزالة المملكة النوميدية، وجعل منها مقاطعة رومانية باسم إفريقيا الجديدة Provincia Africa Nova تمييزا لها عن الولاية القديمة Africa Vetus XLIII.2.9 (: Cassius, D,1945) وقد امتدت حدودها من المجرى الأسفل لنهر الوادي الكبير Ampsaga حتى جبال الأوراس غربا وقفصة جنوبا، فهي تمتد من الخط المار بين هيبوريجيوس وروسيكادا، وينحدر نحو الجنوب غربي كالاما- قالمة- ثم باتجاه الجنوب الشرقي ليصل إلى كابسا- قفصة- ، وكان أول حاكم لها هو سالوستيوس برتبة بروقنصل، ويفصل بين الإفريقيتين الخندق الذي وضعه سكيبيو الإميلي، وقد خلد ساليست نفسه كمؤرخ و وصمه التاريخ كأكبر مبتز لمحكوميه (العقون، م.ع، 2004- 2005: 32).

يذكر شنيتي أن القضاء على نوميديا في ذلك العام بالتحديد يمثل نهاية لمرحلة دامت قرنا من الزمن (146 ق.م- 46 ق.م)، و كأن قيصر – يقول شنيتي- أراد بتلك المصادفة التاريخية أن يحتفل بالذكرى المئوية للانتصار الروماني على القرطاجيين، بأن أضاف مكسبا إقليميا جديدا إلى المكاسب الرومانية القديمة، مساهمة منه في توسيع الإمبراطورية على حساب الشعوب المجاورة (شنيتي،م،ب. 2007: 65).

أما الجزء المتبقي من نوميديا، فقد قسم بين بوخوس والمرتزق سيتيوس كمكافأة لهما، فعمد الأول إلى مَدِ حدوده من واد الساحل إلى الوادي الكبير، بينما غنم الثاني – سيتيوس- الشمال الغربي من مملكة نوميديا، ويشمل مقاطعة سيرتا وضواحيها (حارش،م،ه. ب،ت: 82)، والتي أقاموا بها إمارة، عرفت باسمهم- الستيانيين- وهي أشبه بكونفدرالية، تجمع عدة مدن مشهورة، وهي القل Chullu وسكيكدة Rusicada، ميلة Milev، وسيرتا كعاصمة لها (شنيتي،م،ب. 2007: 65)، وشكل فيما يعرف بالاتحاد السرتي، الذي ألحق بإفريقيا الجديدة، بعد مقتل سيتيوس سنة 44 ق.م.

كما قام قيصر كذلك بمنح المدن الكبرى التي يسكنها الإيطاليين حقوق المواطنة الرومانية (شنيتي،م،ب. 2007: 134)، من الواضح أن لهذه الإجراءات التي اعتمدها قيصر في شمال الولاية الجديدة سيكون لها أبعاد

خطيرة مستقبلاً على المنطقة بأكملها، يبدوا أنه منح تلك المنطقة لمرتزقة سيتيوس يعد عملاً وقائيا حتى يحمي ظهر الولاية الجديدة ربما من طموح بوخوس الثاني، أو من توحد القبائل وهذا ما جعل قيصر بعدم اطمئنانه إلى حلفائه المغاربة، ولهذا رأى في جماعة سيتيوس أنسب قوة بشرية تستطيع استيطان تلك المنطقة والدفاع عنها. بالإضافة إلى ما انتزعه قيصر لصالح سيتيوس، قامت الجالية الرومانية بمساعدة من سيتيوس، بإنشاء عدة مستوطنات زراعية نموذجية في المنطقة التي استقروا فيها، مما مهد لمرحلة الاستيطان الواسعة التي ستشهدها فترة حكم أكتافيوس أغسطس (غانم، م.ص، 2005: 195).

كما قام قيصر بإعادة مشروع الإخوة كراسوس التي حطمتها مخططات أصحاب الامتيازات في إفريقيا (شنيتي،م،ب. 2007: 128)، حيث استطاع التأثير على مجلس الشيوخ بعد نجاحه في الجانب العسكري، مما جعله يهتم بحركة الاستيطان في الولايات والتي اكتسبت الطابع الرسمي لأن قيصر هو الذي تبناها، ومن أهم بنود هذا المشروع التي تنظم الأراضي، والتي أطلق عليها اسم الأراضي الخاصة والخراجية (galisque Ager Privatus Vecti)، وهي أراضي استحوذ عليها الرأسماليون الرومان، شريطة دفع ضريبة الخراج أو بما نسميها الدخل (Vectigal)، وعلى هذا النحو وضعت أسس الضيعات الكبيرة (Latifundia)، التي قامت خاصة في ولاية إفريقيا (روستوفتزف.ج، ب.ت: 384) ، ومن هذه الآونة صارت ولاية إفريقيا مسرحاً للاحتلال الروماني، حتى الإيطاليين ذهبوا للإقامة بولاية إفريقيا واحتملوا دفع جزية المهزومين (Stipendiarii) واستوطنوا المدن بالآلاف حتى في سيرتا عاصمة النوميديين كما فعلوا من قبل في غالة والشرق، وكانوا هؤلاء المستوطنين من أصحاب الحرف والصناعات (Picard, Ch, G. 1959: 916-917)

ونلاحظ ذلك جلياً عندما قام قيصر بالخروج عن المألوف، عندما قام بإعادة بناء قرطاجة بولاية إفريقيا، رغم العرف والوازع الديني إلا أنه تحدى هذه الأفكار القديمة، من أجل تطبيق سياسته التوسعية، وعليه أمر ببناء مدينة قرطاجة في المكان الذي كان يعتبر ملعون.

وهكذا نلاحظ زوال مملكة نوميديا من الوجود، وتغيير الخريطة السياسية لبلاد المغرب، وبذلك كان سير الاحتلال بخطى سريعة خاصة أثناء الحروب الأهلية، وعلى سبيل المثال قام ماريوس بمنح أراضي لقدماء

الجنود في مدن ولاية إفريقيا، كذلك قيصر الذي غزا ولاية إفريقيا ونوميديا، قام بعمل جديد متمثل في إعادة رسم خريطة نوميديا التي عرفت إنشاء مقاطعة جديدة من ناحية، وامتداد موريطانيا شرقا، فضلا عن الأراضي التي استلمها المرتزق سيتيوس(Appien, 1808, II, 54).

ومجمل القول، نرى أن قيصر قد حقق انتصارا كبيرا ضمن من خلاله على ضريبة سنوية تقدر بمليون ومائتي ألف صاع من القمح وثلاثة ملايين رطل من الزيت، فتم ضم نوميديا إلى ملك الشعب الروماني Ager Publicus، وعلى هذه الأراضي تأسست المزارع الكبرى لصالح أعضاء مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان التي بدأ دورها يتزايد خارج إيطاليا.

يذكر شنيتي أن ماسحو الأرض كانوا يسيرون في أعقاب جنود الاحتلال وهذا بعد الانتهاء من مهام نزع الملكية من أصحابها بالقوة، ثم يقوم الماسحون بتجزئتها إلى قطع حتى يسهل توزيعها (شنيتي،م،ب. 2007: 52)

يرى بعض المؤرخون أن قيصر عندما احتل نوميديا سنة 46 ق.م، كان الغرض هو التوسع في امتلاك الأراضي وفتح المدن أمام الاستثمار الروماني، وقد انتهجت الدولة الرومانية سياسة نزع الملكية عنوة، وترحيل هذه القبائل إلى الجنوب النوميدي، مثل قبيلة نوميديا بإقليم مداوروش، وحيدرة التي نقلت إلى الجنوب، وانزل بعضها في قبيلة ثوبورسيكوم نوميداروم (شنيتي،م،ب. 2007: 53)

فإذا كان حلم الملك يوبا الأول هو توحيد بلاد المغرب في مملكة واحدة، بما فيها تحرير قرطاجة، فإن تقاطع الوقائع التاريخية ما بين هذا الطموح ومشروع روما التوسعي في المنطقة حال دون ذلك، لأن الطموح يطغى عليه الأمل والتمني، أما المشروع فهو أدوات ووسائل تنفيذ، وبذلك تحقق المشروع لدى الطرف الروماني وخاب الطموح لدى الطرف النوميدي، فلم ينجح الملك يوبا الأول رغم جهوده بقدر نجاح الرومان في ذلك.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1/ العربيـــــة:

إبراهيم أيوب، 1996، التاريخ الروماني، لبنان، الشركة العالمية للكتاب.

إبراهيم نصحي، 1983، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى 133 ق،م، ج 1، مصر، مكتبة الأنجلو – المصرية.

بشاري محمد لحبيب، جوان 2012، **"علاقة روما بالممالك الإفريقية بعد زوال قرطاجة"**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع19، تصدر عن قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2.

حارش محمد الهادي، ب- ت، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203- 46ق،م)، الجزائر، دار هومة.

- 2001، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، ط1، الجزائر، دار هومة.

حجازي عبد العزيز، 2006، روما و إفريقيا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

الحسيني معدي، يوليوس قيصر رجل كل العصور، مراجعة، طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، دار الكتاب العربي.

روستوفتزف ج.، 2010، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي و الاقتصادي، ترجمة زكي نجيب، محمد سليم سالم، ب- د ، النهضة العربية.

شارن شافية و آخرون، 2007، الاحتلال الاستيطاني و سياسة الرومنة، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

شنيتي محمد البشير، 2007، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954.

عبد اللطيف أحمد علي ب- ت، لتاريخ الروماني من تيبريوس جراكوس الى أكتافيوس أغسطس، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

عقون محمد العربي، 2004- 2005، الاتحاد السيرتي من استيلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق،م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

غانم محمد الصغير، 2005، مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم، الجزائر، دار الهدى.

فرحاتي فتيحة، 2007، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني، 213- 46 ق،م، الجزائر، منشورات أبيك.

هشام الصفدي، 1967، تاريخ الرومان من العصور الملكية، الجمهورية، الإمبراطورية حتى عهد الإمبراطور قسطنطين ،ج1، دار الفكر الحديث.

2/ الأجنبية:

Appien A., 1808, Histoire des guerres civiles de la république romaine (Iber, Lib), Trad. par Combes dounous, paris, imp. des frères Mama.

Berthier A., 1981, La Numidie, Rome et le Maghreb, Paris, éd. Picard.

César, 1949, La guerre D'Afrique, trad. par A. Bouvet, paris, les belles Lettres.

Decret (F.), Fantar (M.), 1981, L'Afrique du nord dans L'antiquité (dés origine ou V^{e} siècle), paris, Payot.

Dion Cassius, 1945, Histoire Romaine, traduit par E. Gros, Paris, éd. Librairie de Firmin Didot frères.

Duruy (V.), 1855, Histoire romaine jusqu'à l'invasion des barbares, Paris, éd. 3, Hachete.

Eutrope, 1863, Abrégé de l'Histoire Romaine, Trad. N. A. Dubois, Paris, Librairie Garnier Frères.

Guischardt (Ch), s.d, Mémoires Militaire sur les Grecs et les Romains, Lyon, France, Libraire Jean Marie Bruyset.

Glaesener (H), 1953, Un mot historique de César, **L'An Cla**., T. 22.

Gaid (M)., 1972, Aguellids et romains en berberie, Alger, SNED.

Gsell S., 1920, H.A.A.N, T.,VIII, paris, libraire Hachette,.

Lacroix (M.L), 1870, L'Afrique ancienne, **Rev. Afr**., N°.14. paris.

Mazard jean, 1955, Corpus de Monnaie de la Numidie et de Maurétanie, paris, éd. Art Et Matier graphique.

Moinier (C.), 1900, "Une expédition en Afrique" , **Rev. Afr**, T.44, paris.

Mommsen (Th.), 1863, Histoire Romaine, T.7, Trad., C.A Alexander, Paris, éd. A.L. Harold (Librairie Afrawk).

Picard (Ch. G), 1959, La Civilisation de l'Afrique romaine, Paris, éd .Plon.

Piganiol (A), 1924, La Conquête Romaine, Paris, Edi P.U.F.

Plutarque,1985 Les vies des hommes illustrés, T.2, trad. Jacques Amyot, Paris, éd. Gallimard.

Plutarque, 1983 Vie de César. Trad., A .Materne, Paris, Librairie Hachette.

Toussel Marcel, 1948, le Trésor Monétaire de Tiddis, R.S.C.T, T., 66,

Velleius Paterculus Caius, 1825, Histoire romaine. Trad., M. Després, Paris, C.L.F. Panckoucke Editeur.